# ذكرى

# اليوم الوطني

## "التاسع والأربعون"

بقلم : محمد أبو الفتوح الخياط

بالأمس القريب احتفلت المملكة العربية السعودية بذكرى اليوم الوطني ، وكانت المجلة ماثلة للطبع ، وحين نشارك بهذه الصفحات تلك الذكرى الطيبة فانها تؤكد من جديد اهمية هذا اليوم في حياة العرب والمسلمين ، فقد برزت فيه المملكة العربية السعودية الى العالم الدولي قوية موحدة تحت راية « لا اله الا الله محمد رسول الله » •

وهذه الصفحات المشرقة من تاريخ الوطن السعودي المسلم تعبير حي واصيل لملحمة رائعة صاغها الملك عبد العزيز بوعي وبصيرة وتطلع واصبح علينا أن نذكره لأن الذكرى تنفع المؤمنين ، كما أن قراءة هذا التاريخ واجب حضاري نستمد منه الكثير لمستقبلنا ومستقبل أجيالنا المسلمة •

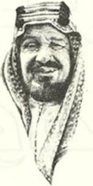

- عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود ••
- بطل من أبطال التاريخ العربي المعاصر ، ومن صانعي أحداثه ، وراسمي اتجاهاته ••
- صورة حية لكفاح الرجال •• وصبر الرجال •• واصرار الرجال على قهر المعجزات ، وتحطيم الحواجز ، والانطلاق لآفاق التقدم ••
- صانع كيان قوي وهائل لا يستطيع صناعته الا القلة النادرة من الرجال الأقوياء ••

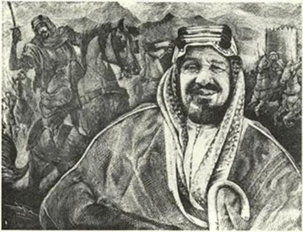

[] اننا حين نقف مع مسار التاريخ لنذكره ·· ولنستعيد كفاحه ·· فاننا نستجلي جزءا من الصورة المشرقة التي بدأت واضحة جلية مع بداية العقد الثالث من عمر عبد العزيز ·· وحيث بدأ مسيرته النضالية الرائعة لتحقيق الأمل ·· ويحرر البلاد من كل نفوذ وتسلط وخوف ، ويبسط راية الوحدة على كل ربوع مملكتنا العربية السعودية ، وينطلق بها الى آفاق التقدم الرحبة لتأخذ مكانها على الخريطة الدولية ·

ــ ولد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود في قصر الامارة بالرياض في التاسع عشر من شهر ذي الحجة عام ١٢٩٧ هـ الموافق ٥ ديسمبر

١٨٨٠م ، وأمضى عبد العزيز باكورة صباه يعيش مع القبائل البدوية ، ويركب الخيل ويتعلم الفروسية ويتدرب على فنون الحرب والقتال بالسيف والبندقية بين أقرانه أبناء آل سعود وأتباعهم ٠٠ عاش بينهم وعايشهم فدرس عاداتهم وتقاليدهم وعاش واقعهم :

تعلم القراءة والكتابة وقرأ القرآن وتلقى أصول الفقه والتوحيد على يد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف وسرعان ما خالط الرجال حتى رحل للكويت مع والده ولم يكن قد تجاوز الحادية عشر من عمره ٠٠ ولكنه بهمة الرجال وتطلعاتهم وعى تجربة الكويت وما عاشته في تلك الفترة ٠٠ واستوعب أحداثها ، وقارن واقعها بما عرفه عن أجداده العظام ٠٠ فكان ذلك بمثابة الوقود لعزيمته والحافز لطموحه وآماله ٠ ولكن عبد العزيز تميز بصبر الرجال وعزيمتهم الصلبة ٠

ـ شارك عبد العزيز مع أبيه الامام عبد الرحمن وحاكم الكويت الشيخ مبارك الصباح في الذود عن الكويت ضد مخاطر عبد العزيز بن متعب وتطلعاته للسيطرة على الكويت ٠

ليخرج عبد العزيز بدرس عظيم في وضع الخطة وتأمين البلاد ٠٠ وليتجه بفكره وطموحه للرياض ٠٠ متسائلا ؟ :

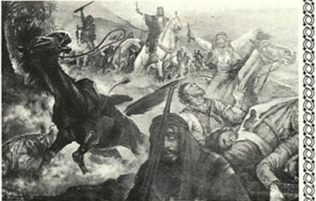

لوحة تمثل معركة روضة مهنا

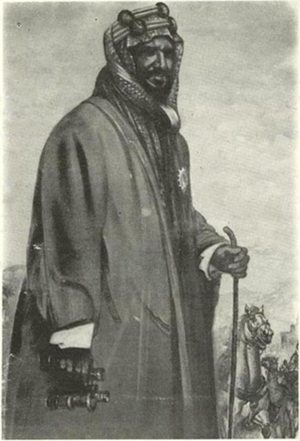

الملك عبد العزيز يرحمه الله في جولة استطلاعية معتمدا على الله ثم على نفسه

٠٠ هل يفرض علينا هذا الموقف أن نستسلم ونعيش غرباء عن وطننا ؟ ٠

٠٠ هل سهل علينا مجد أسرة سعود وتاريخها المشرق ؟
وكأنه يحدث التاريخ عما سيكتبه مستقبلا ٠٠
ويواجهه والده الامام عبد الرحمن بروح الأبوة الصادقة قائلا :

**« ترى يا عبد العزيز ليس لي قصد في أن أقف في سبيل اقدامك ٠٠ ولكن كما ترى موقفنا وحالنا يقضيان باستعمال الحكمة في ادارة أمرنا ٠٠ أما وقد عزمت فأسأل الله لك العون والظفر » ٠**

وبدرت دمعة من عين الأب كانت أثمن ما حمله قلب الابن في سيره الى المعركة التي خرج من أجلها ٠

ويخرج عبد العزيز الى الرياض في موكب الخالدين متخذا طرقا غير مألوفة ٠٠ وكأنه قائدا محنكا خابر القتال وعايشه ، تارة يتحدث اليهم وتارة يستمع اليهم ليعيشوا جميعا في واقع واحد وهدف واحد ٠٠ حتى أن الامام عبد الرحمن أرسل اليه وهو لايزال في الطريق يطلب اليه العودة ٠٠ وسرعان ما تحدث لرجاله قائلا :

**« لا أزيدكم علما بما نحن فيه ، وهذا كتاب والدي يدعونا للعودة للكويت ٠٠ قرأته عليكم ، ومبارك ينصحنا بالعودة ٠٠ أنتم أحرار فيما تختارونه لأنفسكم ٠٠ أما أنا فلن أعرض نفسي لأكون موضع السخرية في أزقة الكويت ، ومن أراد الراحة ولقاء الأهل ، والنوم ، والشبع فالى يساري ٠٠ الى يساري » ٠**

وبكل الشجاعة وعزة النفس ٠٠ يصيحون رافضين الا تحقيق الهدف الغالي ٠٠ ويكتب عبد العزيز لوالده :

**« موعدنا انشاء الله في الرياض »**

وفي الخامس من شوال ٠٠ تشرق شمس هذا اليوم المبارك من عام ألف وثلاثمائة وتسع عشر ٠٠ وعبد العزيز ورجاله يجولون في شوارع الرياض بهمة واعتزاز ٠٠ تتعالى الصيحات :
**الله أكبر ٠٠٠ الله أكبر ٠٠٠ الملك لله ثم لعبد العزيز ٠٠**
ويتوافد أهل الرياض مستبشرين بالفاتح الجديد ٠

كانت عملية استرداد الرياض أول تجربة عاشها الملك عبد العزيز وطبقها بوعي وبصيرة وايمان ٠٠

سجل بوعيه وادراكه سلوك خصمه وعاداته ·· ثم خفة الحركة واستخدام الحرب الخاطفة ثم حرب الازعاج ·· ثم توحيد القوات وتصنيفهم حسب مهام كل منهم ·· وتوعيتهم بأهدافه وأسلوبه ·· ثم ···

لقد أذهل ذلك كله ·· المؤرخين والمحققين ·· فعبد العزيز لم يدرس فن عسكري ·· أو استراتيجية معاصرة ولكنه درس في أرض الواقع واستوعب تاريخ بلده فانطلق بالهام فطري وراثي ·· ليحقق أول هدف ·· ولتكون الرياض المنطلق لتوحيد البلاد ·

يرسل عبد العزيز لوالده الامام عبد الرحمن بالكويت يدعوه للعودة قائلا :

**« الامارة لكم ، وانا جندي في خدمتكم » ··**

ويرد الامام عبد الرحمن « اذا كان قصدك من استدعائي الى الرياض ان أتولى الامارة ·· فهذا لن يكون . وليس أمامي الا أن أخرج منها اذا أصررت ·

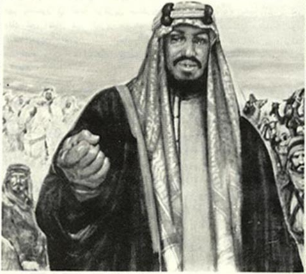

عبد العزيز يتحدث لرجاله ويحثهم على الوحدة في الرأي والتمسك بعقيدة الاسلام ·

وتحت الحاح العلماء ٠٠ وتدخلهم يعلن الامام عبد الرحمن في ساحة المسجد الكبير بالرياض نزوله عن حقه في الامارة لأكبر أبنائه عبد العزيز ٠٠ ويهديه سيف « سعود الكبير » ويترك له قصر آل سعود ٠٠

وينطلق عبد العزيز بهمة المنتصر العائد ٠٠ ليتابع بنفس الايمان والاصرار مسيرته المباركة وليستكمل للبلاد تحريرها ووحدتها ٠

كانت نجد وتحريرها من أي نفوذ متسلط عليها ٠٠ هدفا آخر لعبد العزيز ٠٠٠ أعد له العدة ٠٠ ليحقق نصرا عزيزا في موقعة الدلم ٠٠ سارعت بعده القبائل تعلن تأييدها لعبد العزيز وتشاركه تطلعاته ٠٠ فاستولى على عنيزه ثم بريده ٠٠ حتى كانت وقعة الشنانة (١٨ رجب ١٣٢٢) التي وطدت قدم عبد العزيز في نجد وأطاحت بالنفوذ التركي المتحالف ٠

ويعيش معهم عبد العزيز معارك سياسية متعددة فهو يدرك حقدهم والتواءهم وأساليبهم في التضليل والخيانة ٠
فهم يطمعون في اقامة مركزين عسكريين في بريده وعنيزه بحجة أن يستمر ذلك لحين اتفاق عبد العزيز مع ابن الرشيد ولكن الأهالي يلتفون حول عبد العزيز رافضين تلك المحاورة المغرضة ، ويواجه عبد العزيز الموقف بشجاعته واصراره ليسترد القصيم ويخلصها مما تعرضت له من غبن وقسوة ٠

ـ كان العثمانيون يطلقون على الاحساء والقطيف « لواء نجد » فقد احتلوها عام ١٢٩٧ هـ ـ ١٨٧٩م ٠٠ وأقاموا فيها حاميات عسكرية تدعم وجودهم ، وكانت الهفوف مركزا لهم ٠ وكان العثمانيون مشغولون باحتلال ليبيا ٠٠ ورأى عبد العزيز أنها فرصة يسترد خلالها الاحساء ٠٠ واستردها بفضل الله ثم اخلاص قيادته وجنوده ٠٠ وسقطت الهفوف واستسلمت الحاميات العثمانية في القطيف والقصيم ، وأرغم العثمانيون على الاعتراف الرسمي بعبد العزيز ملكا على نجد والقصيم والاحساء ، وتبدأ بريطانيا في الاتصال بعبد العزيز لتؤمن نفوذها في منطقة الخليج ٠٠ وتعقد معه معاهدة العقير وهي أول معاهدة يوقعها عام ١٣٣٤هـ/١٩١٥م ٠

كانت لهذه المعاهدة أكثر من هدف هي :
**أولا :** هي خطوة جادة في سبيل التخلص من الدولة العثمانية ٠
**ثانيا :** اعتراف رسمي من بريطانيا بسيادة البلاد الكاملة ٠
**ثالثا :** ضمان عبد العزيز لمساعدة بريطانيا له اذا ما اعتدت عليه الدولة العثمانية ٠

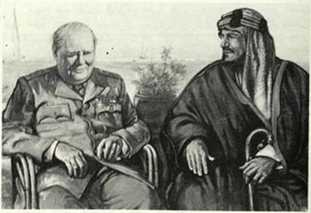

**الملك عبد العزيز آل سعود يرحمه الله في لقاء مع ونستون تشرشل على ضفاف بحيرة قارون بالفيوم بمصر ·**

**رابعا :** اطمئنان عبد العزيز للانجليز في الجنوب ·

وتبدو صورة الطمع الاستعماري من جانب ألمانيا وروسيا ويشتد الصراع الدولي ويتجه عبد العزيز لجيرانه من الأمراء والحكام ابن الرشيد والشريف حسين والشيخ مبارك ليتدارس معهم الموقف ليجنب البلاد أطماعهم وتطلعاتهم الاستغلالية · وينجح عبد العزيز في تنفيذ هدفه ليشعر بثقة جديدة يضيفها لرصيده المتجدد من الثقة بالله والنفس ··

ولم يتركه العثمانيون ويعودوا من جديد ليؤلبوا عليه ابن الرشيد في جبل شمر ويقدموا له المساعدات ، كما بدأ الشيخ أحمد الجابر حاكم الكويت في توقيع اتفاق للصلح واقامة المنطقة المحايدة فكان ذلك بمثابة تأمين للحدود الشرقية وللأماني العربية بعيدا عن فتن الاستعماريين والمتسلطين · هذه الخطوة الجريئة دفعت بالأسرة السعودية وعلماء نجد ورؤساء العشائر للقاء مبارك نادوا فيه بعبد العزيز سلطانا على نجد وملحقاتها ··

ويبدأ عبد العزيز في رسم صورة جديدة لمواجهة مشكلة جبل شمر حيث أمكنه بفضل الله وعونه أن يستولي على حائل ليدخلها في ٢٩ صفر ١٣٤٠ هـ ويتصافح مع حكامها من آل رشيد في لقاء عربي كريم اتسم بالود والتسامح كتعبير صادق عن مدى الحرص من جانب الطرفين على التقاليد العربية والتسامح والود المتبادل ٠٠

وعلى بركة الله ٠٠ يتابع عبد العزيز المسيرة المظفرة ٠٠ فيتجه غربا لمناطق الحجاز ٠٠ وليواجه الشريف الذي تصاعد عداؤه وكبر حقده ٠٠٠ وساءت سمعته حتى بين الشعوب العربية ويوجه عبد العزيز نداءه لأهل مكة مناديا أن يكون أمر هذين الحرمين الشريفين شورى بين المسلمين ٠٠

وفي الثالث عشر من شهر ربيع الثاني عام ١٣٤٣ هـ يتحرك الملك عبد العزيز متجها لمكة يرافقه كبار القوم والعلماء يتقدمهم الأمير محمد بن عبد العزيز والأمير خالد بن عبد العزيز والشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ قاضي جيشه والشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف وغيرهم كثيرين ٠ ليصل مكة في السابع من جمادى الأولى فيدخلها محرما ويخطب في الناس الذين تجمعوا لاستقباله ٠٠ وليكتمل للبلاد السعودية وحدتها وعزتها ورفعتها ٠

كان يقول دائما : « ان الدين النصيحة وهذه عقيدتي » ويدخل محمد ابن عبد العزيز المدينة ٠٠ في ( ١٩ جمادى الأولى ١٣٤٤ هـ ) وفي الاسبوع الأول من شهر جمادى الثانية ١٣٤٤ هـ تستقبل جدة العاهل السعودي لتسدل الستار على ما كان يسمى بالعرش الهاشمي ٠

ويبايع أهل جدة الامام عبد العزيز ملكا على الحجاز على كتاب الله وسنة رسوله وما عليه أصحابه رضوان الله عليهم والسلف الصالح والأئمة الأربعة رحمهم الله ٠

ويتحدث الامام عبد العزيز قائلا :

**« لقد بذلت جهدي وما تحت يدي في تخليص الحجاز لراحة اهله ، وامن الوافدين اليه ـ اطاعة لأمر الله ٠**

وفي عام ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م توحدت الأقاليم الثلاثة الحجاز ـ عسير ـ نجد لتصبح المملكة العربية السعودية التي ترتبط ارتباطا عضويا وروحيا بمشاعر الشعوب الاسلامية مهما تدانت ديارها وتباينت اتجاهاتها ٠

ان هذه قصة موجزة ومعبرة بصدق عن مرحلة هامة في التاريخ العربي السعودي ٠٠ قدمت فيها جاهدا تسلسلا تاريخيا مبسطا لصفحة مشرقة من تاريخ الملك عبد العزيز ٠٠ على مدى ثلاثين عاما جاهد فيها بايمان وصبر وعزيمة لا تلين ٠٠ ليؤسس المملكة العربية السعودية ذلك الكيان الكبير ٠٠ الذي يتعهده اليوم بالعناية والرعاية جلالة الملك المعظم خالد بن عبد العزيز وسمو ولي عهده الأمير فهد بن عبد العزيز ٠

حفظ الله الجميع ٠

محمد أبو الفتوح الخياط

الملك الشهيد فيصل بن عبدالعزيز طيب الله ثراه

جلالة الملك المفدى خالد بن عبد العزيز
ملك المملكة العربية السعودية

صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء